Novel and philosophy for Nikos Kazantzakis

Abdelkrim Anayat[1], Zaid Al-Zuriqat[2]

ABSTRACT

The research extrapolates the great interconnectedness between literature and philosophy of Nikos Kazantzakis. We cannot lose sight of the great connection between literature and philosophy at the moment of the emergence of philosophical thought in the Greeks from the so-called moment of establishment, and this relationship continued until the current crisis, and this is evident in the use of existential philosophy of the novel and play as a means of reporting abstract philosophical ideas. The research found that, the contemporary Greek writer Kazantzakis is considered one of the greatest novelists who have not been separated from philosophical problems. This is due to his philosophical formation by Bergson and Nietzsche. The question of the truth of man, and the question of the body that extended through the history of philosophical and religious thought together, added to this the issue of the symbolic value of art in the human being, which is inseparable from the divine and moral problem. We can also observe Kazantzakis' involvement in postmodern discourse as a post-modern philosophy.

Keywords: Nikos Kzantzakis; Frederick Nietzsche; Henry Bergson; philosophical novel, ontology; human nature; earthly ethics.

[1]Mohamed Lamine Debaghine,Setif 2; [2]The University of Jordan.

Received on 15/11/2020 and Accepted for Publication on 4/2/2021.

الرواية والفلسفة عند كازانتزاكيس

عبد الكريم عنيات[1]، زيد الزريقات[2]

ملخص

يتغيا هذا البحث استقراء الترابط الكبير بين الآدب والفلسفة عند ينكوس كازانتزاكيس، ليس لنا أن نغفل الترابط الكبير بين الأدب والفلسفة في لحظة ظهور الفكر الفلسفي عند الإغريق مما يسمى بلحظة التأسيس، وقد استمرت هذه العلاقة حتى الأزمنة الحالية، ويظهر ذلك جليا في استعمال الفلسفة الوجودية للرواية والمسرحية كوسيلة تبليغ الأفكار الفلسفية المجردة، وانتهى البحث إلى أن الأديب الإغريقي المعاصر كازانتزاكيس أحد كبار الروائيين الذين لم ينفصلوا عن المشكلات الفلسفية، وهذا يعود إلى تكوينه الفلسفي على يد كل من برجسون ونيتشه؛ حيث لمحنا حضور كبرى المشكلات الفلسفية في رواياته، مثل مشكلة الألوهية ومشكلة الأنطولوجيا، ومسألة حقيقة الإنسان، ومسألة الجسد التي امتدت عبر تاريخ الفكر الفلسفي والديني معًا، ضف إلى ذلك مسألة القيمة الرمزية للفن في الكينونة الإنسانية التي لا تنفصل عن المشكلة الألوهية والأخلاقية، كما يمكن أن نلاحظ انخراط كازانتزاكيس في خطابات الما بعد بما هي فلسفة ما بعد حداثية.

الكلمات الدالة: نيكوس كزانتساكيس، فريدريك نيتشه، هنري برجسون، الرواية الفلسفية، الأنطولوجيا، طبيعة الإنسان، الأخلاق الأرضية.

المقدمة

- حياة نيكوس كازانتزاكيس

نيكوس كازانتزاكيس Nicos Kazantzakis (ولد 1883 بكريت/ توفي 1957 في ألمانيا) أديب وروائي ومفكر ومترجم إغريقي. تلقى تكوينا في القانون بجامعة أثينا لكنه تكوين لم يشبع فضوله الفكري والروحي كما ذكر في مذكراته السيرية، لذا واصل دراسته في باريس؛ حيث حضر دورس الفيلسوف الحدسي المشهور هنري برجسون (توفي 1941) وأصبح من أوائل طلبته. بعد عودته إلى اليونان، عُين في منصب وزير، لكنه لم يلبث أن استقال. تكمن مساهماته الفكرية في عدة دراسات حول فكر نيتشه وبرجسون. كما أنه أخذ طريق الكتاب والشعراء الإغريق القدامى؛ حيث ألّف مآسي (تراجيديات مثل تراجيديا ميليسا) وألّف ديوان شعري كبير بعنوان "الأوديسية" وهي ملحمة تستأنف ما انتهت إليه ملحمة هوميروس بنفس العنوان. كما أنه ترجم كتاب نيتشه الأساسي "هكذا تكلم زارادشت" إلى اللغة اليونانية المعاصرة. وهذا يدل على تأثره الكبير بفلسفة نيتشه، التينجد لها صدى كبير في مختلف أعماله الروائية والسيرية. هذا، ويمكن أن نلحظ بوضوح أثر لأفكار برجسون عن الحياة والحدس واللامعقول...الخ في روايته التي لا يمكن أن تنفصل عن الفلسفة بالمعنى الوجودي والحيوي للكلمة. وعلى الرغم من أن كل رواية تحمل فلسفة ما، ولنقل فلسفة تلقائية، إلا أن روايات نيكوس كازانتزاكيس مفعمة بفلسفة قصدية وناضجة، متأتية من اطلاعه على فلسفة نيتشه وتفاعله المباشر مع فلسفة برجسون، إلى جانب صداقاته الفكرية والأدبية المتنوعة، وشهادة ألبير كامو علي اسهاماته الأدبية لها وزنها المعنوي. (نيكوس كازانتزاكيس، تصوف، ص6-10)

- الأدب الفلسفي:

من المؤكد أن هذا الأديب يتوقع في ما يمكن أن نسميه بـ "الرواية الفلسفية" التي كانت ولا زالت طريقة مهمة في نقل الأفكار الفلسفية المجردة من خلال تبسيطها وتقديمها في لغة سردية تستقطب أكبر وعاء جماهيري ممكن. وهذا ما يجعل الرواية الفلسفية، كما قال نيتشه عن أفلاطون، فلسفة للجميع أو فكر للجمهور. ونظرا إلى ما تمتلكه الرواية من قدرات فنية كبيرة على بسط المجرد الفلسفي؛ إذ إن شخصية نيكوس كازانتزاكيس الأساسية في رواية "زوربا الإغريقي"مثلا والمسمى "ألكسي زوربا"،

[1]جامعة محمد لمين دباغين، سطيف .2 الجزائر؛ [2]كلية الآداب الجامعة الأردنية.

تاريخ استلام البحث 2020/11/15، وتاريخ قبوله 2021/2/4.

 ©2022 عمادة البحث العلمي/ الجامعة الأردنية. جميع الحقوق

تجسد فلسفة كاملة الأركان، بل هو مذهب فلسفي يسير على قدمين، على الرغم من أنه لم يتلقى تكوينا علميا البتة. هذا ما يجعلنا نطرح مشكلة هذه الدراسة في السؤال التالي: ما هي المضامين الفلسفية التي يحملها الأدب الروائي عند نيكوس كازانتزاكيس؟ وأين يمكن لنا أن نعثر على الفلسفات الكبرى التي تأثر بها؟ ونقصد بصورة خاصة فلسفة نيتشه وبرجسون. وكيف يمكن أن نعنوّن فلسفته وأدبه الروائي؟ من أجل ذلك، سنتناول هذه المداخل الكبرى التي تبدى لنا أنها محورية في كتاباته الروائية والسيرية، لنخلص في النهاية إلى خاتمة تستجمع خصائص فلسفته الأدبية.

أولا – حقيقة الوجود:

يفتتحُ نيكوس كازانتزاكيس النصَّ الفلسفيَّ الشعريّ: "تصوُّف: منقذوا الآلهة"، الذي هو بحقٍّ ملحمةٌ للتساؤل، ومفتاحٌ أساسٌ لكلِّ أعماله الأدبيّة، برؤيةٍ وتصوُّرٍ عن الإنسان الذي أتى من هاوية مظلمة وسينتهي الى مثلها، وبينهما تلك المسافةُ المضيئة التي هي الحياة؛ ليفتحَ مَعَها عقلَنا لأسئلةٍ وجودية، فيقول: "نأتي من هاوية مظلمة وننتهي إلى مثيلتها. أما المسافة المضيئة بين الهاويتين فنسميها الحياة. لحظة أن نولد تبدأ رحلة العودة. الانطلاق والعودة في آن. كل لحظة نموت. لهذا جاهز كثيرون أن هدف الحياة هو الموت. ما أن نولد حتى تبدأ محاولاتنا في أن نخلق ونبتكر. أن نجعل للمادة حياة. كل لحظة نولد لهذا جاهز كثيرون أن هدف الحياة هو الخلود" (نيكوس كازانتزاكيس، تصوف ص13).

على الرغم من أن نيكوس كازانتزاكيس ليس بالفيلسوف المحترف مثل البقية من الفلاسفة الذين نسجوا أنساق فلسفية متماسكة مثل بيت العنكبوت، إلا أنه سار في طريق طرح الأسئلة الأنطولوجية الكبرى. فنجده مثلا يستشكل شأن الحقيقية الوجودية النهائية، على طريقة الفلاسفة المحترفين قائلا: "أشتاق لشيء واحد هو: "أن أدرك ما الذي يختبئ خلف الظواهر، ما هو هذا السر الذي ينجبني ثم يقتلني؟ وهل خلف التيار المنساب والمرئي للعالم يختبئ حضور ثابت غير مرئي؟" (نيكوس كازانتزاكيس، تصوف، ص 18) وكما هو ظاهر، فقد سار في الطريق المألوف لأي فلسفة تريد فض الغلاف الخارجي للوجود الظاهر للعثور على اللب الحقيقي الموجود في الباطن. فكل من طلب الحقيقة النهائية أعتبر فيلسوفا بالمعنى التقليدي للكلمة، لأن وظيفة التفلسف منذ القدامة حتى وقت قريب، ارتبطت بكشف الحقيقة النهائية والواحدة. فمنطلق الفلسفة الإغريقية السابقة على سقراط تأسس على الكشف عن العنصر الحقيقي للوجود، أي تسمية المادة الأصلية التي صدر منها كل ما نلاحظه بالحواس من تنوع وتحول وميلاد وفناء.

ما قيمة الحياة التي يحيها الإنسان؟ هل لها من معنى؟ هل هناك معقولية ما خلف الأحداث والظواهر أم أن كل شيء شواش لا ينتهي؟ هذه الأسئلة محورية في التفكير الفلسفي منذ القدامة الإغريقية سواء السابقة على سقراط أو اللاحقة لأرسطو. وكل العصور الفلسفية اتخذت موقفا من هذه المشكلات، بل يمكن تقسيم المذاهب الفلسفية الكبرى من خلال استكشاف موقفها من مشكلة "المعنى والحياة". ففي حين أننا نجد الفلسفات المثالية والروحية والدينية تؤكد على أن هناك خطة ما وراء تقلبات الحياة وفوضى الوجود، فإننا نجد الفلسفات الواقعية والمادية والإلحادية تميل إلى نزع أي معقولية مفترضة عن الوجود. وهنا نجد نيكوس كازانتزاكيس يسير في هذا الطريق الثاني مؤكد بأن "الحياة مأساة آسرة ومحيقة في نفس الوقت. (نيكوس كازانتزاكيس، زوربا ص 9) والمأساوية مفهوم أساسي في فلسفة نيتشه؛ إذ نجده قد خصص دراسة مُهمة تحت عنوان "الفلسفة في العصر المأساوي الإغريقي"، وهو يفضل أن يسمي الفلسفة السابقة على سقراط باسم الفلسفة المأساوية وليس الفلسفة الطبيعية أو المادية كما جرى بين مؤرخي الفلسفة، وهذه التسمية تحمل في طياتها مدلولات عميقة، ومن أهمها أن معظم الفلاسفة السابقين على سقراط قد أدركوا أن الحياة صيرورة بلا غاية وجريان بدون مآل، لذا نجد منهم من يعتقد بالدورات الكونية التي لا تنتهي مثل هيراقليطس والفلسفة الفيثاغورية. وحتى أمبادوقليس وديموقريطس قد سارا في تقدير الوجود الإنساني تقديرا صحيحا من خلال التأكيد على لا معقوليته وباعتباره معاناة لا تنتهى. (Friedrich Nietzsche: le livre du philosophe, p 152.) كما أن أناكساغوراس قد استطاع التأكد والبرهنة أن الغائية وهم إنساني بلغ من القوة حتى أصبح عقيدة فلسفية ودينية، لكن ليس هناك أي تدخلات عجائبية يمكن الوثوق فيها. (فريدريك نيتشه، الفلسفة في العصر المأساوي الإغريقي، ص 92.) والحق أننا نجد في كتب تاريخ الفلسفة ما يؤكد بأنه قد خالف عقائد الإغريقيين لدرجة أنه اتهم بالإلحاد، ونحن ندرى أن الغائية هي عماد أي عقيدة دينية مهما اختلفت المضامين المخصوصة لكل دين. وعلى الرغم من أن هناك من يتأول فلسفته تأويلا دينيا، إلا أنه لم يكن فهم النوس بمعنى التدبير والرعاية والرفق بالوجود. لذا، فإن العديد من الفلاسفة السابقين على سقراط قد كانوا مأساويين عندما اكتشفوا لا غائية الوجود وهُمل حركته. وحتى أبيقور، وعلى الرغم من أخلاقه الأنانية المنقطعة عن الروح الإغريقي القديم، فقد قرر مبدأ الإهمال الإلهي، وهذا ما يجعله تراجيديا أيضا في منظور نيتشه. لذا يسهل علينا الإشارة منذ الآن، أن نيكوس كازانتزاكيس قد

سار في طرق التراجيديين القدامى والمعاصرين في مسألة نظرية الوجود.

ليس للبشر أن يعتقدوا بحماية ما، وحدهم الضعفاء من يفعل ذلك. بل عليه أن يحمي نفسه بكل ما أوتي من قوة وجنون وحيلة وذكاء أو حتى خديعة أو كذب فني. "إنني لا أثق بالقوى السرية التي تحمي البشر، كما يقولون، إنني أومن بالقوى العمياء التي تضرب يمينا ويسارا، دون خبث، دون هدف، وتقتل كل ما تصيبه".(نيكوس كازانتزاكيس، زوربا، ص 146) فالطبيعة، حسب نيكوس كازانتزاكيس، لا تتصرف بمقتضى مصلحة أو مفسدة الإنسان، فكل شيء يحدث وفقط، وكل المعاني التي نخلعها على الظواهر مجرد هراء يخفف ويساعد على أنسنة الوجود ليس إلا. لذا نجده يقول بأن "كل هذا الذي أراه وأسمعه وأتذوقه وأشمه وألمسه هو من صنع عقلي. الشمس تصعد وتهبط داخل جمجمتي (...) ببطء وبجهد شاق أتحرك بين الظواهر التي أنتجتها، أميزها بطواعية وأخلطها بقوانين ثم أخضعها لاحتياجاتي العملية الشاقة. أضع أساسا للفوضى، أعطي للفوضى وجها هو وجهي".(نيكوس كازانتزاكيس، تصوف (منقذو الآلهة)، ص 14–15) وقد لخص شوبنهاور هذه المسألة في قوله أن العالم من تمثلي، أي أن الإنسان هو الذي يعطي معنى للعالم، أما هو في ذاته فلا معنى له.

بل أن الوجود يسير دون مشورة ودون تخطيط مسبق، كل ما يقع مجرد سيلان أعمى للأحداث بلا منطق وبلا إرادة. لذا يمكن تلخيص قانون الحياة في الشكل التالي: "إن مصير الإنسان إنما هو خلاصة تسلسلات حمقاء... لا غير". (أحلام مستغانمي: ذاكرة الجسد، ص 285) وعلى الرغم من قساوة هذا القانون بالنسبة للإنسان الذي يحب المعنى ويأمل الأحسن لنفسه من خلال التثمين، إلا أنه للأسف هو القانون الوحيد الذي يجب أن نعترف به. ثم أن التأكيد على عقيدة الاعتناء يطرح ألف وألف مشكلة، فننظر في هذا المشهد الذي قدمه "نيكوس كازانتزاكيس" في "الاغواء الأخير للمسيح": "تصور الحيرة التي لابد أن الرب المسكين يمر بها بدوره. لاشك أنه تورط في خلق العالم. إن السمك يصرخ، لا تعمني يا رب، لا تجعلني أدخل الشباك. ويصرخ الصياد، أعم السمك يا رب، اجعله يلج الشباك. فإلى أي منهما يجب أن ينصت؟ أحيانا يلبي طلب السمك، وطورا يلبي رغبة الصياد. بهذه الطريقة يسير العالم". (نيكوس كازانتزاكيس، الإغواء الأخير للمسيح، ص 106) لكن هل فعلا أن الإله يلبي دعوة هذا وذاك؟ الأكيد أنه مجرد مجاز وما المصادفات إلا القانون الأول والأخير. ثم أن نظرية الإهمال الأنطولوجي هي النظرية التي تبناها هذا الأديب الفيلسوف. وهل يهتم الإله بهذه السمكة التي لا تمثل أي شيء بالنسبة لمجمل الوجود؟ أو هذا الصياد النكرة الذي لا يذكر في كتب التاريخ! إن إقحام الألوهية في هذه الجزئيات هو ما رفضه أبيقور عندما أشار بأن هذه الجزئيات هي التي تقلق صفاء الآلهة هناك،(لوكريتيوس، في طبيعة الأشياء، ص 207) لذا فمن اللائق عدم ازعاجها بمشكلاتنا التافهة.

ثانيا– طبيعة الإنسان:

عندما لا يغدو للعالم من مسار مدروس ومعلوم يمكن تعقله على وجه الحقيقة، لا يبقى إلا القول مع زوربا بأن "هذا العالم سر وأن الإنسان ليس سوى وحش كبير". (نيكوس كازانتزاكيس، زوربا، ص 29) هو سرٌ لا يمكن معرفته، وكل نظريات الوجود ليست إلا إسقاط لخصائص الإنسان عليه، أو اسقاط لأمانيه التي لا تنتهي إلا على وجود بارد جامد لا حياة فيه. ووحشية الإنسان هي الطبيعة الحقيقية له بعد سقوط فرضية غائية العالم في هاوية الوجود الصائر، عندما ينعدم المعنى تأفل القيمة، ما المعنى إلا قيمة وما القيمة إلا معنى. الكشف عن حقيقة الوجود تساعدنا في معرفة حقيقة الإنسان. وقد تنافست النظريات النفسية والفلسفية والسوسيولوجية والدينية في كشف هذه الطبيعة، فبين قائل بالشّرية المطلقة وقائل بالخيّرية التامة وقائل بإرادة الإنسان في تنمية إحدى الطبيعتين، نجد "نيكوس كازانتزاكيس" يسير في طريق الواقعية الفجة أو قل القاسية، التيتؤكد بأن الإنسان وحش لا يأبه إلا لنفسه. وما الدعاوي التي تنادي بالرحمة والتسامح وحسن الجوار إلا علامة ظاهرة لعجز غير ظاهر. قال زوربا: "عندما يصبح الإنسان بلا أسنان، يسهل عليه أن يقول: من العار أن تعضوا أيها الرفاق ! لكن عندما تكون له أسنانه الاثنتان الثلاثون... إن الإنسان لحيوان مفترس عندما يكون شابا، حيوان مفترس يأكل البشر! إنه يأكل خرافا أيضا، ودجاجات، وخنازير، لكن إذا لم يأكل لحم إنسان، فإنه لا يشبع". (نيكوس كازانتزاكيس، زوربا، ص 27) وهذا ما يقابل نظرية معروفة عند نيتشه باسم إرادة القوة، وليس المجال هنا لشرحها رغم أهميتها الكبرى في التوضيح، ولنا أيضا في نظرية هوبز وميكيافيلي ما يساعدنا في فهم الطبيعة الشريرة للإنسان.

إن الطبيعة البشرية مسافرة عبر عمر الفرد فتتحول مع تقدمه، لذا فلا يمكن أن نجد أي إنسان قد ثبت على حالة. ليس هناك فرد شيطاني وآخر إلهي، كل ما في الأمر أن الخيريّة المطلقة والشريّة القاتمة يتناوبان على الفرد وفق مسيرة العمر الجارية. وهكذا: ف "حين يتقدم العمر بالشيطان يصبح ناسكا". (نيكوس كازانتزاكيس، الإغواء الأخير للمسيح، ص 224) وعندما يكون الإنسان قويا مفتولا يتحول الناسك فيه إلى شيطان. وسنرى أدناه، حسب نيكوس كازانتزاكيس، أن الشر والخير لا يتفارقان مثلما

أن الإلهي والشيطاني شيء واحد في النهاية.

في رواية " الأُخوة الأعداء " في قرية كاستللوس، ترتفع صيحاتُ اقتل! وكل واحد من أبناء القرية يحملُ كرهًا للآخر، وعندما بدأ القساوسةُ والصحفيينَ والمسؤولينَ يدعونهم إلى أن يقتلوا جيرانَهم وأصدقاءهم وأخواتهم، ويقولون لهم إنّ هذا هو الطريقُ الوحيدُ لينقذوا الوطنَ والدين، هنا انطلقت حملةٌ مسعورة منَ القنص والمطاردة، مطاردةِ الإنسان لأخية الإنسان. وكأنه مكتوبٌ على جبين الإنسان القتل! (نيكوس كازانتزاكيس، الأخوة الأعداء ص6). ونقرأ في القرآن الكريم: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (سورة المائدة، الآية 30). حقًّا إنها لمأساةٌ أن يقتلَ الأخُ أخاه، والمأساةُ أنّ المحرّكَ الأساس للحروب هم رجالُ الدين، هؤلاء الذينَ يوقظون فينا ما طواه التاريخُ من مساوئ، بدعاوي، أقتل من أجل الوطن ومن أجل الدين. ونرى أنّ عالمَنا العربيَّ والعالَمَ يضجُّ بهذه الحروب الأهليّة الكريهة، فما إن تفجّرت الحربُ الأهليّة في لبنان إلّا ونرى اليوم القليلَ منَ الدول العربيّة لم تَسْلَمْ من حرب أهلية، ناهيكَ عن العالَم الآخر، مثل البوسنه وروندا وغيرهما الكثير.

في فلسفةِ حرّية الإرادة والعدالة، يذهبُ نيكوس إلى أنّ الله خلقَ الإنسان حرًّا، وعليه أن يختار طريقَه، وأن يتّخِذَ موقفًا منَ الصّراع الاجتماعيّ برفض العُزلة المجرّدة، وأن يتّخِذَ موقفًا شجاعًا للدفاع عن الكرامة الإنسانيّة، وأن يَسْلُكَ طريقًا يجمع بين الحريّة والعدالة، تلك الحريّة التي لا تهابُ الموت، حريّة الكفاح من أجل الحريّة. وعليه، فنرى في رواية "الأخوة الأعداء" حربًا لا هوادة فيها، وهي روايةٌ تدور أحداثُها حولَ الحرب الأهليّة في قرية كاستللوس بين الأخوة أبناء تلك القرية،. هنا يحتار القسيس ياناروس ويصرخ: "أين تقفُ يا يسوع حتى أتبعك؟ هل تقفُ معَ الجيش الملكيّ الذي يدافعُ عن الظلم لكنّه يرفعُ راية الدين؟ أم تقفُ معَ الشيوعين الذين يدافعون عن العدالة لكنهم يُنكرونَ الدين؟ وأخيرًا، ارتفع من أعماق قلبه صوتُ يسوع هادئًا حلوًا: تسألني أين أقف؟ أقفُ في السماء، في الأعالي، لقد خلقتُكَ يا أب ياناروس حرًّا، وعليكَ أن تختارَ طريقَك. لا تسألني النصيحة" (نيكوس كازانتزاكيس، الأخوة الأعداء، ص10، 15). هنا ينبري الأبُ ياناروس ويرفعُ رايتَهُ الخاصّة، ويبحثُ عن طريق ثالث، لا يُقْحِمُ الدينَ في مشكلات الدُّنيا، ولا ينكرُهُ من أجل الدُّنيا، لكنّه يضعُهُ في قلبهِ المكافح ومشاعره فيصبح قوّة في الصراع من أجل العدالة.

نلحظ هنا أن نيكوس كازانتزاكيس قد أجاد الجمع بين الراوي و المؤرخ؛ حيث كلاهما يشتغل على نفس الفترة التاريخية، لكن الراوي لا يسجل الأحداث بنفس دقة المؤرخ، لكنه يغوص في أعماق الحياة الداخلية لمجتمع قرية كاستللوس فيصور مشاعر أبناء القرية بدقة متناهية، و كذلك، أحاط بظاهرة الحرب بما فيها من مآسٍ و ألم و معاناة، و أجاد في وصف البواعث النفسية والاجتماعية و الدينية و السياسية، لذا أصبحت الرواية لديه مادةً خصبة للفلسفة؛ حيث أجاد في وصف الحرب بما هي عنف مفرط، و إيغالٍ في التوحش.

وفي محاولة له، عمد نيكوس كازانتزاكيس إلى صياغة نظرية عامة تفسر سير التاريخ الإنسي، فليس هناك قوة مفارقة تدفع الأحداث، كل ما هناك هو عضة بيولوجية ترمى الإنسان إلى الفعل والانفعال. لذا نجده يتحدث بنبرة ماركسية، ولنتذكر أنه تأثر بلينين كما يقول في أحد نصوصه التي سنذكرها أدناه، مفسرا أساس حركة التاريخ والإنسان معا: "أستطيع أن أعلن أفكاري (في مسألة المحرك الأول للتاريخ) بفظاظة كالتالي: الجوع، وهو علة اقتصادية، هو بالطبع الدافع الأول. هذا هو الحال في أغلب الأوقات. لكن في الأوقات الحاسمة، والخطرة فإن الغضب، الكره، والغرائز المتولدة عنها...الخ، يكون الدافع الأول فيها هو العواطف". (نيكوس كازانتزاكيس، رحلة إلى مصر، ص 84) وبهذا يكون قد ألغى كل الدوافع التي يمكن أن تكون عقلية خالصة أو مستقلة عن واقع الإنسان الفعلي.

ثالثا – استعادة الجسد وتثمين الجنس:

البديهية الأساسية في كل فلسفة مثالية هي التمييز بين الروح والجسد، لذا كان ديكارت رغم عقلانيته الطبيعية والآلية مثاليا عندما فصل بين الامتداد والفكر. لكننا نجد نيكوس كازانتزاكيس على العكس يلغي كلية أي مبرر لهذه التفرقة التي ترسخت في الأذهان والأزمان لصالح الفكر والروح؛ إذ نجده يقول تواليا على لسان بطله زوربا: "الجسد هو حمارنا الصغير، فإذا لم تطعمه، تركك في منتصف الطريق". (نيكوس كازانتزاكيس، زوربا، ص 40) ثم يواصل بنبرة اعتراف: "فهمت أخيرا أن الأكل أيضا عملية روحية وأن اللحم، والخبز، والخمر، هي المواد الأولية التي تصنع منها الروح". (نيكوس كازانتزاكيس، زوربا، ص 72) ليس هناك روح إلا بالمادة التي تشكله بلا توقف، توقف يوما عن الأكل وسترى كيف أن الروح تضعف مثل شعلة الشمعة وهي تأفل وتنطفئ. بل الأكثر من ذلك، يسير نيكوس كازانتزاكيس في طريق الغاء أي تفريق دلالي أو وظيفي بينهما، لذا نجده يقول استعاريا: "سأملأ روحي بالجسد، وأملأ جسدي بالروح، سأوفق أخيرا، في نفسي، بين هذين العدوين الأبديين". (نيكوس كازانتزاكيس، زوربا، ص 80) هو ذا زوربا يكون شاهدا على نهاية حرب فارقة دامت لعصور طويلة بلا معاهدة عادلة.

ما مشكلة الميتافيزيقا التقليدية مع الجسد؟ لماذا لم تُكرمه؟ هل يمكن لشاب نضِر أن يكره الجسد؟ وحدهم الشيوخ والعجائز يحبون الروح، لأن لا جسد لهم، أفُل جسدهم وأصبح مشوها. بما أن الجنس موجود في الجسد، فهو المستهدف الأول. طريق السماء موازي لطريق الجسد والجنس لا يلتقيان مهما امتدا، هكذا تكلم الشيخ المقدس. وهنا يقلب زوربا المعادلة، ويضع قاعدة مقدسة جديدة: "إن العضو الذكرى (الجنس) هو مفتاح الفردوس، والخصيان لا يدخلون السماء". (نيكوس كازانتزاكيس، زوربا، ص 24) بل أن قدرة الله على الغفران مطلقة، إلا في حالة عدم استجابة الرجل لإغواء الأنثى التي تطلبه، هكذا قالت العجوز التركية تاركة وصية جنسية ثمينة. (نيكوس كازانتزاكيس، زوربا، ص 111) لربما وصية تعيد للجسد مكانته التي سلبها أفلاطون وأفلاطونية الشعب (المسيحية). فمهمة المسيح تمركزت أساسا في تحول اللحم إلى روح والجسد إلى جوهر. (نيكوس كازانتزاكيس، الإغواء الأخير للمسيح، ص 7) الجسد والعالم صنوان لا يفترقان، ومن رفض أحدهما ليس له أن يقبل الآخر. وها هو "نيكوس" يقيم مقارنة بين المسيح الذي شيّد مدينة الله من الأرواح الطائرة وهوميروس الذي هيكل مدينة الأناسي بالأجساد القوية. (نيكوس كازانتزاكيس، تقرير إلى غريكو، ص 288) ليس المسيح إلا أفلاطونا خارج الأسوار، أفلاطون الجميع والرعاع. ولئن كان "نيكوس كازانتزاكيس" يسمع للمسيح وهوميروس معا، فقد قرر هذا الإغريقي الوثني أن ينحاز لبني جلدته، ويترك الناصري وحده في مملكة السماء. لن يقبل "نيكوس كازانتزاكيس" بالمسيح إلا إذا عاد إلى الأرض: "عد إلى العالم. في أيام كهذه، وفي سن كهذه؛ العالم هو الدير الحقيقي الذي ستصير فيه قديسا". (نيكوس كازانتزاكيس، تقرير إلى غريكو، ص 373) ليس لملك الأرواح أي سلطة حقيقية، أن تكون عبدا في هذه الأرض أحسن بألف مرة من أن تكون ملكا في السماء أي أميرا على الأرواح، هكذا كان أوليس يقول لملك الموت والجحيم. (نيكوس كازانتزاكيس، الثعبان والزنبقة، ص 75) لم يكن الوثني يتصور إلها في السماء، أقصى درجة للمفارقة اللاهوتية هي جبل الأولمب، فبالرغم من علو قمته، إلا أنه جبل فوق الأرض، ولم ينفصل عنها في سماء بعيدة عن البشر. الإله الحقيقي مرابط في الأرض لا يبرحها. (نيكوس كازانتزاكيس، تقرير إلى غريكو، ص 373) هكذا تصور الاغريقي النموذجي آلهته، وقد تكفل هوميروس بنظم هذه التصورات التي تجعل القرابة بين الإنساني والإلهي مجرد درجات قليلة يمكن ردمها أو القفز عليها بدفعة واحدة.

ويذهب "نيكوس كازانتزاكيس" إلى أبعد من ذلك، فالإله الحقيقي الذي لا يسكن في السماء بل هو دوما في الأرض. لكن أين هو في الأرض بالضبط؟ إن الأديان التقليدية تجعل له بيتا فتقول أن الكنيسة هي بيت الرب فهل هذا صحيح؟ هل يسكن الإله فيها؟ هل هو المقام الحقيقي له؟ "الرب موجود في كل مكان، فلماذا نذهب لنبحث عنه في الصحراء؟"(نيكوس كازانتزاكيس، الإغواء الأخير للمسيح، ص 224) يجيب على لسان عجوز صححت عقائد عيسى ابن النجار: "قالت العجوز لابن مريم الذي كان متجها إلى الدير باحثا عن الرب: ألا تعلم أن الرب لا يوجد في الأديرة بل في منازل البشر؟ انك حيثما تجد زوجا وزوجة، تجد هناك الرب، حيثما يوجد الأطفال والهموم الصغيرة والطبخ والمناقشات والمصالحات، يوجد أيضا الرب (...) الرب الذي أعنيه هو الرب الأليف، وليس الرب الديري: هذا هو الرب الحقيقي. إنه هو الجدير بعبادتك. دع الرب الآخر لأولئك البلهاء الكسالى." (نيكوس كازانتزاكيس، الإغواء الأخير للمسيح، ص 101) والأكثر من ذلك أن الدير هو المعصرة القاهرة التي تحول الأجساد الثقيلة إلى أرواح خفيفة لكي تطير نحو السماء. الكنيسة هي القاعدة التي ترسل الأجساد إلى السماء بعد تخفيفها من ثقلها الأرضي. لذا نجده يقول: "أدفن نفسي في الدير. هناك سوف أقتل لحمي وأحوله إلى روح". (نيكوس كازانتزاكيس، الإغواء الأخير للمسيح، ص 113) إن الأديرة مصنع لإنتاج الأرواح من مادة أولية هي الأجساد، لكن بعد تدميرها كلية. وليس هذا التدمير إلا تنفيذ لعقيدة نظرية تسمى "تأثيم الجسد" أو "ترذيل المحسوس".

ليس الجسد من خلق الله فحسب، بل أن الإله ذاته مخلوق من الجسد. هذه الفكرة ليست وثنية فحسب، بل هي أساس كل جنون عقدي. ما هذا القلب الرهيب للموازين؟ هكذا قال زوربا وهو يعيد للبطن كرامته المهدورة من القلب والضمير. يقول عن المعدة التي تهضم الطعام للروح: "إن البطن هي الأساس المتين، فالخبز والخمر واللحم قبل كل شيء، ولا يمكن إلا بالخبز والخمر واللحم خلق الله". (نيكوس كازانتزاكيس، زوربا، ص 121) لا يمكن أن نفهم الله أو نعبده أو نحبه بلا جسد. وهذا ما كان نيتشه قد ذكره في "هكذا تكلم زارادشت": إن المتنكرون والمستهزئون بالجسد les contemplateurs du corps، وهم على الأرجح رجال الدين المسيحيين وكل من ولاهم من فلاسفة ومتصوفة زاهدين في الجسد، والذين يدّعون أنهم قد تحرروا فعلا منه ومن الأرض والمحسوس ككل، لا يمكنهم فعلا التحرر منها، لأن رعشة ونعمة تحررهم من الجسد لا تكون إلا بالجسد".(Friedrich Nietzsche: Ainsi parlait Zarathoustra, p 28) ويا لها من مفارقة معيبة ! فاللذة الروحية مشروطة في كل الأحوال بوجود الجسد، والروح الخالص هو عدم خالص. ولعل مصدر وهم الفصل بين الروح والجسد هو ما

يمكن أن نسميه بملاحظة انحلال الجسد بعد الموت: "أهذا هو الإنسان: قذارة وعفونة؟ (في حالة المرض، وتعفن الجسد بعد الموت) أين الروح إذن لتضع الأمور في نصابها؟" (نيكوس كازانتزاكيس، الإغواء الأخير للمسيح، ص 546) لكن هذا لا يسمح لنا باستنتاج ديمومة الروح وكماله، ليس لانحلال وتعفن الجسد أي علاقة بخلود ونقاء الروح، هذه الطريقة مغالِطة في البرهان، قد يكون الروح غير موجود أصلا، فكيف نقابله بما هو الوجود الحقيقي والوحيد؛ أي الجسد الذي هو نحن كلية. يؤكد هنا نيكوس أن: "الجسد والروح والعقل [كلها] صنعت من طينة واحدة". (نيكوس كازانتزاكيس، تقرير إلى غريكو، ص 213) ربما أن كل هذه التسميات المختلفة ما هي إلا تسمية للجسد! (جون كولر، ص222) لكن كيف يُشفى الإنسان من هذه الأوهام التي أصبحت عقائد بعيدة عن الشك؟ حسب نيتشه، لا يمكن الاستشفاء إلا بالتحول من وضعية "الإنسان الجمل" الذي حمل تلك الأثقال- الأوهام إلى وضعية "الإنسان الأسد" الذي سيدمرها بضربة واحدة هدامة مخربة وأخيرا وضعية "الإنسان الطفل" الذي سينسى كل شيء مستعيدً البراءة الأصلية. تلك البراءة التي تقول بأننا جسدا بالكلية، وما الروح إلا اسم يطلق على بعض الجسد، إن الجسد هو العقل الكبير والروح الحقيقي، ليس الروح إلا لعبة الجسد.(Friedrich Nietzsche: Ainsi parlait Zarathoustra p) 30-31 فلنرقص رقصة الفرح لاستعادة الجسد، فلنرقص للجسد بالجسد، فلنرقص احتفاء بالأرض التي هي البداية والنهاية معا. أوليس الأرض هي الحقيقة الوحيدة التي تولد اليقين، ما عدا ذلك مجرد ظنون جميلة وفي بعض الأحيان ظنون معيبة. لا يمكن أن نتأكد إلا من الأرض، (نيكوس كازانتزاكيس، تقرير إلى غريكو، ص 406) أما البقية من الموجودات فهي بخار يتلاشى بمجرد التفكير الناقد. وفي الرواية المثيرة للجدل، حول السيرة الإنسانية للمسيح، يصف "نيكوس كازانتزاكيس" مشهدا فيه يمتزج الروحي بالجسدي بلا أي فارق على الصورة التالية: "الاشتياق القدسي للخبز (...) راح ابن مريم يمضغ بهدوء ويأكل، شاعر أن جسمه وروحه قد اتحدا وأصبحا كيانا واحدا؛ بحيث كانا يتلقيان الخبز، والزيتون والماء بفم واحد، ويبتهجان معا، ويتغذيان". (نيكوس كازانتزاكيس، الإغواء الأخير للمسيح، ص 99–100). لكن دعوة عيسى اتخذت موقفا متطرفا من الجسد: يقول في إحدى خطاباته: "ما الجسد؟ إنه خيمة الروح، وعليكم أن تهتفوا في كل لحظة "سنطوي خيامنا ونرحل! نحن راحلون، عائدون إلى وطننا الأم" وما هو وطننا الأم؟ إنه السماء (...) إن الموت باب يؤدي إلى الخلود"، نيكوس كازانتزاكيس، الأغواء الأخير للمسيح، ص 552) عندما يأكل الإنسان، فإن الروح هي التي تأكل النصيب الأكبر، للروح تصور وادراك وأسنان ومعدة، ففي حين يُخرج الجسد فضلات الطعام، تُخرج الروح فضلات الأفكار، أي الأوهام وهالوسين الحقائق. إن قدرة العقل، كما قال هوبز، على انتاج الأوهام والأشباح والفضلات لا تقل على قدرته في انتاج الأفكار والحقائق والأحكام. (عادل مصطفى، الأورجانون الجديد، ص 18)

ربما يتساءل أحدهم، قائلا: هل يُحب الإله الأرواح الخانعة والأجساد الضعيفة المُشوهة؟ هل يستقبل هكذا موجودات في ملكوته؟ بالنسبة للمخيال الإغريقي فإن الروح القوية لا تكون إلا في الجسم القويّ. وما ولعهم بالرياضة والمصارعة والعدو إلا دلالة على هذا التلازم بين عظمة الجسد وعظمة الروح، فلا يمكن أن تحل العظمة الروحية في المهزلة الجسدية، فلا يمكن لجسد كوميدي أن يتلفظ بنص تراجيدي. كما أن الدفاع عن المدينة، التي هي الحيز المكاني والروحي الوحيد للفرد الإغريقي، يتطلب جسدا قويا ودربة رياضية مستدامة. (نيكوس كازانتزاكيس، تقرير إلى غريكو، ص 200– 203) من لا جسد له لا مدينة له. لذا نجد "نيكوس كازانتزاكيس" يقر بأن "الله لا يجب الأرواح الضعيفة والأجساد الرخوة". (نيكوس كازانتزاكيس، الإغواء الأخير للمسيح، ص6) فكما أن الروح القوية لا تسكن الجسد الضعيف، فإن الجسد القويّ هو مسكن الروح العظيمة. فنكن عظماء في أجسادنا وأروحنا لنحض بتكريم إلهي.

تقول "أم عيسى" شاكية باكية لصديقتها "سالومي" بأن طريق الرب ليس في التنسك والعبادة حصرا، بل على العكس، من لم يمارس الجنس لا يمكن أن يعرف الرب. طريق الرب هو الإنجاب، ولا انجاب دون معاشرة. "قالت مريم للعجوز سالومي متذمرة من خيار ولدها الوحيد: وجع الأم ثقيل يا سالومه، إن الرب لم يهبني غير ولد واحد، وهو ابن عاق (...) لا أريد لابني أن يصبح قديسا، أريده أن يغدو رجلا مثل بقية الرجال. أريده أن يتزوج وأن ينجب لي أحفادا. هذا هو سبيل الرب". (نيكوس كازانتزاكيس: الإغواء الأخير للمسيح، ص231–233) وقد كان "زوربا" يعتقد بأن الجنة لا تُفتح للخصيان، هذا على وجه اليقين ما تعتقد به مريم. لكن عيسى لم يكن مثل أمه، بل عمل دون توقف على نشر عقيدة كره الجسد وقبر الجنس، وهذا ما يقوله في أحد عضاته التي نهشت الجسد، ما الموعظة إلا عضة مؤلمة للجسد. "قال يسوع: أنظروا إلى ايمان الطيور في السماء، انها لا تبذر ولا تحصد، ومع ذلك فالأب يطعمها. تأملوا أزهار الأرض، إنها لا تغزل ولا تنسج، ولكن أي ملك بمقدوره أن يرتدي ثيابا بمثل روعة أشكالها؟ لا تكثروا من الاهتمام بأجسادكم (...) ليكن اهتمامكم منصبا على مملكة السماء وعلى أرواحكم

الخالدة". (نيكوس كازانتزاكيس، الإغواء الأخير للمسيح، ص270) ولم يتوقف عيسى الناصري عن الدعوة إلى مملكة السماء، بل اشترط التخلي عن مملكة الأرض وعن الجسد لصالح الروح الخالص من أي شائبة دنيوية. أنظر كيف أجاب أحدهم بعد سماع نصائح عيسى التعجيزية: "سمع صياد سمك عجوز كل هذا الكلام (التخلي عن كل شيء من أجل الرب) وهز رأسه. قال: "هذا ما يحدث لأولئك الذي لا يتزوجون. إن كل ما يريدون فعله هو تخليص العالم بأي وسيلة. إن منيهم يصعد إلى رؤوسهم ويهاجم عقولهم. حبا للرب، نصيحة لكم جميعا: تزوجوا، أنفقوا قواكم على النساء وانجبوا أطفالا لتهدأ سريرتكم". (نيكوس كازانتزاكيس، الإغواء الأخير للمسيح، ص475) ما اللوثات العقلية إلا اختلاط ماء الرجل بأفكاره. وفي خاتمة "الإغواء الأخير للمسيح"، نسمع موقف الملاك من الجسد والتناسل، وهو الموقف الذي لم يتسن ليسوع أن يبلغه بفكره رغم حكمته الإنسانية: "قال الملاك: يا يسوع الناصري (...) تسألني عن معنى الجنة؟ هي أن تقرع بابا، فتفتح لك امرأة، فتجلس أمام موقد، وأن تراقبها وهي تعد لك المائدة، وبعد أن يسود الظلام الدامس أن تدعبها وتأخذها بين ذراعيك. هكذا يأتي المخلّص: بالتدريج من عناق إلى عناق، من ابن إلى ابن: هذا هو الدرب". (نيكوس كازانتزاكيس: الإغواء الأخير للمسيح، ص632) ما صوت هذا الملاك إلا صوت "نيكوس كازانتزاكيس" نفسه الذي تجاوز الرسالة المرحة ليسوع الذي وقع في "حفرة كره الجسد" ولم يقدر الخروج منها. في داخل هذه الحفرة بالذات عثر عيسى الناصري على أفلاطون الأثيني وهو يحاول الخروج منذ أربعة قرون، لكن دون جدوى.

رابعا– روح الموسيقى ومعنى الرقص:

يعتقد "زوربا"، وهو الفيلسوف الذي لم يتلوث بالمثالية، بأن لغة الموسيقى أكثر عمقا بألف مرة من لغة المنطق والعقل. فلا يمكن لكل النظريات الفلسفية أن تخبرنا عن حقيقية العالم وكيفية الخروج من مأساويته، وحدها الموسيقى يمكن لها أن تحبب لنا هذه "الدنيا الوحيدة" عندما تسوّد الدنيا في عيني، أو عندما أفلس، أعزف السانتوري، فتتحسن حالي، وقد يحدثونني عندما أعزف، لكنني لا أسمع، وحتى إذا سمعت، فإنني لا أستطيع الحديث". (نيكوس كازانتزاكيس: زوربا، ص 18) هذه الموسيقى الآسرة هي التي تجعل الإنسان قريبا إلى الحقيقة التي هي سر لا يمكن أن يعرفه. الموسيقى هي التي تمنعنا عن الموت من الحقيقة، هذه هي نظرية نيتشه في قيمة الفن. وقد ربط "زوربا" بين الموسيقى والحرية، وكاد أن لا يسافر مع معلمه إلى كريت عندما طلب منه أن يعزف له مقطوعة، كان "زوربا" يعتقد بأنه لا يتحكم في العزف، ولا يمكن أن يؤمر للعزف، فالموسيقي خارجة عن أي التزام مهني، خارجة عن أي تعاقد بيندايتي. العزف حرية والحرية عزف.

تسقط عظمة الموسيقى بين يدي الإنسان الأخير الذي يحولها إلى معنى، وما للموسيقى أي معنى على وجه التحديد. إن من يعمل على استخراج معانى من الموسيقى الكونية، يعمل في نفس الوقت على خلق الأوهام. وهنا نجد "نيكوس كازانتزاكيس" مرة أخرى يستعين بالمعجم النيتشوي عندما يستعمل عبارة "الإنسان الأخير" الذي يمثل مجمل ما وصلت إليه انحطاطية الإنسانية القصوى. يقول: "إن الإنسان الأخير– الذي تخلص من كل إيمان ومن كل وهم، الذيلم يعد ينتظر شيئا، ولا يخشى شيئا– يرى الطين الذي هو مصنوع منه، قد استحال إلى فكر، وليس للفكر مكان يلقي فيه جذور ليمتص ويتغذى. لقد تجوف الإنسان الأخير، فلم يعد فيه زرع ولا قذرة ولا دم. إن كل الأشياء قد أصبحت كلمات، وكل الكلمات شعوذات موسيقية. إن الإنسان الأخير سيذهب أبعد من ذلك: إنه سيجلس عند طرف وحدته ويحلل الموسيقى إلى معادلات رياضية صامتة". (نيكوس كازانتزاكيس: زوربا، ص 138–139) وما هكذا يجب التعامل مع الموسيقى، لأنها فارغة من أي معنى عقلي، الموسيقى لغة الجسد ولا تحتمل أي معنى غير جسدي. وكل من يحاول أن يؤلف كتب حول معاني المقطوعات الموسيقية، يكون كمن أراد أن يستخرج الزيت من الزيتون البري. وهي محاولة بائسة، لأنه لا يحوى شيئا، ولا يمكن أن يكون نافعا. ربما له تطبيب آخر، لكن ليس بهذه الطريقة.

وما تستلزمه الموسيقى هو الرقص، وما أكثر شهرة "رقصة زوربا" التي ألهب بها خيال كبار الكتاب، فهذه "أحلام مستغانمي" تأخذنا معها إلى عظمة وسحرية وجنون رقصة "زوربا" القادر على تحويل الفواجع والخيبات إلى رقصات.(أحلام مستغانمي، ذاكرة الجسد، ص 149) وقد تسأل زوربا ذاته حول "سر الرقص" قائلا: "أمن الممكن أن يتحدث الإنسان بالرقص؟ ومع ذلك فلأذهب إلى النار، إذا لم يكن هذا ما يجب أن تتحدث به الآلهة والأبالسة". (نيكوس كازانتزاكيس، زوربا، ص 80) ليس الرقص لغة فحسب، بل هي اللغة الوحيدة التي تعبر عن حقيقة الحال، بل هي لغة الرحمة والرجمة معا. ولعل لعقيدة الإله الراقص عند نيتشه، التياستمدها من أطياف ديونيزوس الراقص المعربد بلا وعي، قرابة مفهومية مع معتقدات "زوربا" الذي عاش في أرض اليونان سائحا عاملا محاربا وباحثا عن الحب. ثم أن "نيكوس" يعترف، في مرحلة من مراحل حياته، بأنه يتعبد بديونيزوس. (نيكوس كازانتزاكيس، تقرير إلى غريكو، ص 440) لذا فرقصة زوربا امتداد لصخب إله الكرمة. ليس الرقص إلا تعبير عن أفول الكلام والعقل والمنطق، أفول ناتج عن العجز والتهافت الذي يلي كل برهان قويّ البنية. الرقص هو اللغة واللغة هي الرقص،

ألا يرقص اللسان عندما يتحدث الإنسان، ولا نقول الأمور بالطريقة الصحيحة إلا عندما نرقصها. قال زوربا لمعلمه ومدير المنجم في كريت: "إنني أفهم شيئا ما، لكن لو حاولت أن أقوله لهدمت كل شيء. وذات يوم عندما أكون مستعدا سأرقصه لك". (نيكوس كازانتزاكيس، زوربا، ص 99) لكن الرقص ليس هو مجرد رقص، بل هو موقف البطل من الحياة المأساوية، هو التهتك من المقدس الرهيب، هو لامبالاة من بلادة الوجود، هو الجنون في مقابل جنون الكينونة. ويعتقد "زوربا" أنه بطئ الذكاء لكنه سريع الرقص، لذا يقول لمديره: "إن جمجمتي قاسية، إنني لا أفهم بسهولة... آه ! أيها الرئيس، لو كنت تستطيع أن ترقص كل ما تقوله، كي أفهم!". (نيكوس كازانتزاكيس، زوربا، ص 282) يا لها من طريقة مجنونة في فهم وتفهم الأمور. إن لغة الجسد أحسن بألف مرة من لغة العقل، لربما عاش الإنسان آلاف القرون وهو يرقص فقط، ولم يكتشف الكلام إلا مؤخرا. إن الكلام حديث الولادة، لذا لا يتقن معظم الحركات.

الرقص هو إذن مواجهة لتفاهة الكون بتفاهة مماثلة وهي الحركات المجنونة والملوثة. هو انتقام من عبثية الوجود الذي لا يرى ولا يسمع ولا يشم، انتقام من وجود بلا حواس. ليس للإنسان أن يواجه المصائب الكبرى إلا بالرقص المجنون. وهذا ما جسدته رقصة زوربا العظيمة بعد انهيار مشروع المنجم الذي كلف الكثير. رقص نابع من مصادر لا إنسانية في الإنسان. يقول معبرا عن لحظات انفلات "ارادة الرقص" بقوة: "ما أن تحدث المصائب الكبرى حتى تتملكني غبطة غامضة لا إنسانية. حين رأيت النار أول مرة، وذلك عندما احترق بيت عمتي كاليوب، قفزت ورقصت أمام اللهب حتى أمسك بي أحدهم من نقيرتي بعيدا. وحين مات معلمنا كراساكيس كان عليّ أن أمنع نفسي قسرا من الضحك. كان الأمر كما لو كان معلمي وبيت عمتي كانا ثقيلين وقد أزيحا عن كاهلي وتحررت منها". (نيكوس كازانتزاكيس، تقرير إلى غريكو، ص 97- 98) الرقص يحرر من عقد ميتافزيقية عظمى ومن عقد نفسية صغرى، لذا فهو الذي يتوسط الكبريات والصغريات. هو من يتوسط الإله والقرد.

خامسا- أفول المعاني الكبرى:

يمكن القول بأن "زوربا" مفكر ما بعد حداثي، فلم يعد يعتقد بصلاحية المفاهيم القديمة والروايات الكبرى. "إن الأحداث المعاصرة لم تكن سوى أمور قديمة في روح زوربا، ما دام هو نفسه قد تجاوزها. ولا شك في أن البرق، والمراكب البخارية، وسكك الحديد، والأخلاق السائدة، والوطن، والدين، كانت تبدو، في عقله، كبنادق عتيقة صدئة. لقد كانت روحه تتقدم بأسرع مما يتقدم العالم". (نيكوس كازانتزاكيس: زوربا، ص 23) وبهذا يكون فعلا متجاوز لعصره، مثله مثل نيتشه الذي كتب اعتبارات غير راهنية. إن المفكر الحقيقي هو الذي يتجاوز راهنه، ويقول ما سيفهمه جيل القرنين القادمين أو أكثر.

يقول "زوربا" متشككا في أقدم مفهوم لدى الإنسان وهو الوطن "مادامت هناك أوطان، فإن الإنسان سيبقى حيوانا، حيوانا مفترسا". (نيكوس كازانتزاكيس: زوربا، ص 232) فالإنسان يرتكب أفظع الجرائم من أجل الوطن وبالوطن. وهنا تستدعي ذاكرتنا مفهوم الأخلاق المغلقة التي وضعها برجسون في كتابه أصل الأخلاقي والديني. ونحن نعلم أن "نيكوس كازانتزاكيس" قد حضر دورس برجسون في باريس. وفيها يعقد مفارقة الأخلاق التي تدعو إلى القتل، هي مفارقة لأن جوهر الأخلاق هو الدعوة للمحبة والمساعدة والتقدير دون استثناء. لذا فإن مثل هذه الأخلاق الضيقة لا يمكن إلا أن تكون مغلقة، بل مغلقة جدا، لأنها لا تبالي إلا بالجماعة المحدودة. (Bergson Henri, Les Deux sources de la Moral et de la Religion, p287) إن الجماعة البشرية تصنع أخلاقا على مقاسها الضيق، لذا تجدنا نسمع بألواح تأمر بالقتل والغش والنهب عندما يتعلق الأمر بالأجنبي. وبهذا تكون الدولة التي تمثل المجتمع وثنا جديدا بالفعل على حد توصيف زارادشت نيتشه عندما قال: الدولة وحش يضلل وصنم استخلف الأصنام.(Friedrich Nietzsche, Ainsi parlait Zarathoustrap 44-45) وأكد "لوك فيري" أن عقيدة الموت من أجل الوطن لم تعد تستقطب العدد الكبير مثلما كان ذلك قديما. "لا مجال، بعد الآن، للموت من أجل الوطن والزهرة على البندقية والابتسامة على الشفاه". (لوك فيري، الإنسان المؤله، ص 104) حقيقة أن هناك فرق بين الوطن والدولة وفق منطق الوعي السياسي المعاصر، إلا أن الدولة في كل الأحوال تقوم بتأميم مفهوم الوطن حسب عقائدها ومصالحها، لذا حق القول بأنه ليس هناك وطن بلا دولة ما. في هذه النقطة فقط، تنكر "زوربا الإغريقي" للروح الإغريقي الذي كان يحيا ويموت من أجل الوطن الذي كان يحوى الموقد الأسري والمديني. (فوستيل دي كولانج، المدينة القديمة، ص 271) لم يعد يؤمن زوربا بالوطن مثل أجداده، فقد هذا الإيمان بفعل مستجدات لم يكن يعرفها الإغريقي النموذجي، ربما تكون رسالة الناصري العالمية أو حكمة بوذا اللا طبقية أو تسامح غاندي أو بروليتارية لينين.

بطلان الفصل بين الجسد والروح الذي عمل "زوربا" على ترسيمه، انتهى به المطاف إلى ازالة الفارق بين الإله والشيطان. يقول لرئيسه: "لكنني، أيها الرئيس، أقول لك وأكرر: إن الله والشيطان واحد".(نيكوس كازانتزاكيس، زوربا، ص 240) ويقول

أيضا: "الرب أم الشيطان؟ فمن يستطيع أن يميز بينهما؟ إنهما يتبادلان وجهيهما، أحيانا يصبح الرب مسربلا بالسواد، ويشع الضياء من الشيطان، ويتبلبل عقل الإنسان".(نيكوس كازانتزاكيس، الإغواء الأخير للمسيح، ص 24) لكن ما مدلول ذلك؟ إن الجسد الذي يمثل الشيطان ضروري للروح الذي يمثل الإله، لذا فالروح سيتبخر إن لم يغذيه الجسد، والإله سيتعطل إن لم يصلحه الشيطان. هذه هي لعبة هيراقليطس القديمة، الطريق إلى الأعلى هو نفسه الطريق إلى الأسفل، الحي هو ذاته الميت. لكن المشكلة أن توحيد الإله مع الشيطان سينتهي إلى انفجار كلا المفهومين، وهذا بالضبط ما يريد "زوربا" الوصول إليه؛ عالم بلا مقدسات ولا مدنسات، بلا سماء ولا أرض، بلا خير ولا شر، فيما وراء الخير والشر، هنا حضور نيتشه في المتن الكازانتزاكي: "سنبني ديرا لنا، دون إله، دون إبليس، مع رجال أحرار. وستكون، أنت يا زوربا، على الباب، ممسكا بالمفاتيح الضخمة، مثل القديس بطرس، لتفتح وتغلق...". (نيكوس كازانتزاكيس، زوربا، ص 303) هذا هو الدين الجديد، الذي تحتاج إليه الإنسانية المنهكة بفعل المسيحية. من يؤمن كثيرا يلحد أكثر، ومن يلحد كثيرًا يؤمن أكثر. هذه هي الدوامة التي دخل فيه "نيتشه و"نيكوس كازانتزاكيس"، هي حفرة في النهاية، تشبه حفرة أفلاطون وعيسى.

ما نمط الإنسان الذي يمثله "زوربا"؟ هل هو الإنسان الجمالي؟ أم الإنسان اللا ديني؟ الأكيد أنه إنسان ما بعد الدين وما بعد العقل وما بعد الوطن بالمفهوم القومي التقليدي. بل أنه تجاوز الأخلاق العتيقة القائمة على الآمرية المطلقة المعادية للحس والجسد، لصالح جمالية منفلتة من كماشتي الخير والشر. لقد انتقل نيكوس كازانتزاكيس من اللحظة الكانطية التي كانت تدعونا إلى الصرامة الأخلاقية إلى اللحظة النيتشوية التي فكت وثاق الانضباط لصالح كينونة جذلة تؤسس على فيزيولوجيا الفن؛ (Luc Verry, homo Aestheticus, p 189)حيث لا حاكم إلا إرضاء الجسد المحترق تحت سوط أخلاقيات الدين الصلبة، إرضاء من شأنه استرجاع الكرامة المهدورة لقرون وقرون. "زوربا بغريزته المعصومة، وبنظراته البدائية الكاسرة". (نيكوس كازانتزاكيس: زوربا، ص 297) هذا هو التوصيف الذي يجعل منه إنسانا تراجيديا يمتلك روح سابقة على الفكر وفكر متأخر عن الجسد. لكن لا يجب التعجل في الحكم على إلحاديته النهائية، فهو في سيرته الذاتية يتحدث عن تأثره بالمسيح، لقد شكل هذا الرجل، إلى جانب بوذا ولينين وأوليس، أصحاب الأرواح العظيمة، مرافقين دائمين في رحلة البحث عن الله. (نيكوس كازانتزاكيس، تقرير إلى غريكو، ص 12. وفي الصفحة 438 و443 يشرح بعمق تأثره بفكر البوذية. وتقول عنه زوجته هيلين كزانتساكي بأنه مؤمن باحث عن الله وليس كما يعتقد الفاتيكان الذي كفره خاصة بعد صدور كتابه الإغواء الأخير للمسيح: الحقيقة أن نيكوس كازانتزاكيس كان متدينا عميقا، بحث عن الإله لكنه لم يقل ها... لقد وجدته. (نيكوس كازانتزاكيس، تصوف، مقال زوجته، نيكوس الذي لم يساوم، ص 82) لم يكن "نيكوس" ملحدا، لكنه أحس بفقدان الإله التقليدي، لذا لم يتوقف ولو لحظة في البحث عنه في داخله، في الكون، في الإنسان، في المدن...الخ. إنه يتحدث عن الصعود الشاق إلى الله، وهذا يعكس عذابه في العثور على المقدس المفقود، هو أكبر ما ضيعه الإنسان المعاصر، مما تطلب العذاب الكبير من أجل إعادة كشفه والإحساس به، لذا فالعدمية عقيدة تتطلب الجهد الجهيد للشفاء منها، من لم يعاني من أهوال العدمية لا يمكن أن يكون مؤمنا صادقا مع نفسه ومع إلهه. "نيتشه" تحدث عن موت الإله و"زوربا" عن فقدان الإله. المفقود ميت حتى يعثر عليه والميت مفقود إلى أجل مسمى. إن الإيمان صعود إلى الأعلى؛ حيث المقدس، وليس مجرد تقمص لمعتقدات بالية جاهزة، لم يكن الإيمان يوما سيرا عاديا، أو نزولا إلى الأدنى أو سيرا في أرض سهلة، هو صعود وصعود من الحيوان إلى الإنسان إلى الإله. (نيكوس كازانتزاكيس، تقرير إلى غريكو، ص 24) وهنا نجد مرة أخرى الاستعارة الهيراقليطية – النيتشوية التي وضّفت القرد والإنسان والإله من أجل رسم صورة نسبية تراتبية للموجودات. الإيمان النفيس ليس سلاما هادئا منسجما، بقدر ما هو صراع بين المحدود واللامحدود في حلبة النفس الإنسانية، الإيمان هو المعركة والمصالحة. "إن الصراع بين الله والإنسان يتفجر في كل فرد، إلى جانب التوق لأحداث مصالحة".(نيكوس كازانتزاكيس، الإغواء الأخير للمسيح، ص 6) وتاريخ الإيمان يكشف لنا مثل هذه القاعدة، أن يتحول الإيمان إلى شك عاصف في روح الفرد الفذ، الذيسينتهي إما إلى السكينة أو تجدد العواصف بلا نهاية. الإيمان نهر مجنون، لانعرف أين ينتهي مصبه، أو متى ينتهي.

الخاتمة:

عبر هذا البحث أردنا أن نبين محاولة نيكوس كزانتزاكيس الجمع بين فلسفة نيتشه الملحدة وفلسفة برجسون المؤمنة، مستحضرًا روح الشيطان الرجيم وروح الإله الرحيم في حيز واحد. وقد شعر بمرارة الجمع بين فكر الفيلسوفين على الرغم من اتفاقهما حول قوة فكرة الصيرورة وبطلان نظرية الهوية الأفلاطونية.

يقول موضحًا صراعه مع النصين المتناقضين، كمن يصارع ماردين جبارين: "كانت الجراح التي أصابني بها نيتشه عميقة ومقدسة، لا تقوى علامات برجسون الصوفية على شفائها، إنها تهدئها مؤقتًا، ولكنها سرعان ما تنكأ وتنزف من جديد". (نيكوس كزانتزاكيس تقرير إلى غريكو، ص 408)

ونحن نعتقد أن الجمع بين قراءة فيلسوف ملحد وآخر مؤمن، تدل على كفاءة لا نظير لها، عبر طريق تؤدي إلى التأرجح بين هذا الدرب وذاك، تأرجحًا تصعب معه إمكانية تشكل أي عقيدة نهائية تنتهي إلى الطمأنينة والسكون كما لو أن قدر الإنسان المحتوم، محكوم في سعيه الحثيث للامساك باليقين الذي سيظل يفلت منه دون لاحق أو اكتمال.

يلخص لنا نيكوس كزانتزاكيس في نهاية سيرته الذاتية الشخصيات التي استمد منها فكره: قائلًا لو أنني حاولت أن أحدد الذين تركوا آثارًا عميقة في نفسي، لكان كل من هوميروس وبوذا ونيتشه وبرجسون وزوربا.

وهنا نلاحظ أنه أقصى كل من عيسى عليه السلام ولينين الذي ذكره في صفحة 12 من سيرته الفكرية. أما نيشته فقد أغناني كما يقول، بعذابات جديدة وعلمني كيف أحول الفشل والمرارة والشك إلى كبرياء. أما زوربا فهو الذي علمني أن أحب الحياة، وأن لا أخاف الموت.

علينا أن نتذكر أن "الكسي زوربا" كان شخصية واقعية عرفه نيكوس في شبابه، وهنا يكمن مربط فكر نيكوس كزانتزاكيس للتأسيس لفلسفة الحياة التي تشبثت بالأرض. فليس هناك معلم للحياة أفضل من زوربا، الذي هو على منوال نيتشه، يدعو إلى التقليل من التفكير، في مقابل ترك الأمور تسير على طبيعتها والاعتماد على العقل بقدر، لأن الإفراط في التفكير سم قاتل للحياة، أما الأسطورة فهي التي تعطي معنى أزليًا للحقيقة العابرة كما يرى نيكوس كزانتزاكيس ونيتشه؛ إذ لا يمكن للعقل المنطقي، كما يرى نيكوس كزانتزاكيس أن يضاهي الأسطورة، لأن بنيه العقل فقيرة مقارنة بثراء العقل الأسطوري. ويمكن القول إن نيكوس كزانتزاكيس قد مثل بقوة وعمق فلسفة الحياة، متأثرًا بالوثنية الهومرية القديمة وبالوثنية النيتشوية المعاصرة كذلك. وما أفكار بوذا والماركسية والمسيحية إلا جيوب للمقاومة من هذا الإلحاد الذي يُطارده كل ما قرأ الإغريقيات.

إن العبارة المكتوبة على قبر نيكوس كزانتزاكيس في كريت التيأوصى بها قائلًا "هنا دفن الكاتب اليوناني نيكوس كزانتزاكيس، لا آمل شيئًا، لا أخشى شيئًا، أنا حر"، هي عبارة تدل على أنه نيتشوي للنهاية. فالفلسفة التي تؤكد على الحياة، لا يمكن أن تأمل شيئًا فيما بعد هذه الحياة. ومن يقول "لا تهمني مملكة السماء، أنا أحب الأرض". لا يمكن إلا ويكون من تلاميذ نيتشه الذي استعاد كرامة الأرض والجسد بعدما كانا غريبين في هذا العالم.

ليست فلسفة الحياة إذن، إلا إحياء لطريقة تفكير قديمة، هي طريقة اليونان والرومان الأوائل، ولا عجب أن يقوم الرومان ذاتهم بقتل عيسى الذي أراد أن يستبدل مدينة الله بمدينة الناس.

إذ لم يكن القدماء يعتقدون إلا بالخلود عن طريق عبادة الأجداد، وهذه الديانة هي التي تعكس أخلاق الحياة التي تركز كل شيء في هذا العالم.

ونلاحظ أن القضية التي تتبوّأ مركز الاهتمام في كل مؤلفات نيكوس هي: أن الدين في حقيقته ثورة، وأن الانبياء في حياتهم على الأرض بين البشر ثوار وقادة، جاؤوا ليحققوا الحياة الكريمة للناس في هذه الدنيا، وليس للتخلي عن الدنيا، إن رجال الدين كما يراهم نيكوس كزانتزاكيس في رواياته على نوعين: إما ثوار فقراء، أو مرتزقة يستخدمون الدين مطية لتحقيق أطماعهم الشخصية.

ويجدر الإشارة هنا إلى أن التركيب الإنساني الثوري الذي صاغه نيكوس كزانتزاكيس في عمله الأدبي الفلسفي "الأخوة الأعداء" يقع بين التشاؤم والأمل، ففيه يظل الأخوة أعداء، والإنسان غير مكتمل الإنسانية، ومع ذلك فإن لينكوس كزانتزاكيس أملَ في الإنسانية، إذا كما يقول، وحده الإنسان هو الذي يتخلص من جحيم ذاته، هو الذي يشعر بمعاناتهم ويحزن من أجلهم.

من هنا نرى أن الرواية عند نيكوس كزانتزاكيس ترتبط بالفلسفة، لا بل أن الرواية عنده في صميمها فلسفة تؤكد تجربته الزمانية والمكانية والروحية، عبر من خلالها عن مواقفه إزاء الإنسان والعالم الآخر، ضمنها، تردده، وخوفه وحنينه للوجود بأسلوب حي مشخص.

ومع تأكيدنا على الترابط الكبير بين الرواية والفلسفة قديمًا وحديثًا، إلا أنه لا يفوتنا أن نشير إلى الرأي القائل بأن الفلسفة ليست فنًا ينشد التعبير وإنما هي دراسة عقلية يحكم عليها بمقياس الحق، لا يحكم عليها بمعايير الجمال أو القيمة.

قائمة المصادر والمراجع

باللغة العربية

جون كولر، الفكر الشرقي القديم، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1995.

دي كولانج، ف، المدينة القديمة – دراسة لعبادة الإغريق والرومان وشرعهم وأنظمتهم، ترجمة عباس بيومي، الطبعة الأولى، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2007.

فيري ل، الإنسان المؤله أو معنى الحياة، ترجمة محمد هشام، الدار البيضاء، 2002.

نيكوس كازانتزاكيس، الأخوة الأعداء، ترجمة اسماعيل المهدوي، الدراس المصرية للطباعة والنشر، القاهرة، 1967.

نيكوس كازانتزاكيس، رحلة إلى مصر – الوادي وسيناء، ترجمة محمد الظاهر ومنية سمارة، الطبعة الأولى، شركة الأمل للطباعة والنشر، القاهرة، 1991.

نيكوس كازانتزاكيس، الإغواء الأخير للمسيح، ترجمة أسامة منزلجي، الطبعة الثانية، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، 1995.

نيكوس كازانتزاكيس، تقرير إلى غريكو– سيرة ذاتية فكرية، ترجمة ممدوح عدوان، الطبعة الثانية، دار الجندي للنشر والتوزيع، دمشق، 2004.

كازانتزاكيس، زوربا، ترجمة جورج طرابيشي، الطبعة الثالثة، منشورات دار الآداب، بيروت، 1978.

كامبل، ج، قوة الأسطورة ترجمة حسن صقر وميساء صقر، الطبعة الأولى، دار كلمة للنشر والتوزيع، دمشق، 1999.

نيكوس كازانتزاكيس، تصوف (منقذو الآلهة)، ترجمة سيد أحمد علي بلال، دار المدى للطباعة والنشر، بيروت 1998.

نيكوس كازانتزاكيس، الثعبان والزنبقة، ترجمة سهيا نجم، الطبعة الأولى، دار الكنوز الأدبية، بيروت، 1993.

لوكريتيوس، في طبيعة الأشياء، ترجمة علي عبد التواب علي وصلاح رمضان السيد وسيد أحمد صادق، الطبعة الأولى، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2018.

عادل مصطفى، أوهام العقل، قراءة في الأورجانون الجديد لفرانسيس بيكون، مؤسسة هنداوي، وندسور، المملكة المتحدة، 2017.

مستغانمي، ذاكرة الجسد، دار الآداب للنشر، بيروت، 1993.

نيتشه، الفلسفة في العصر المأساوي الإغريقي، ترجمة سهيل القش، الطبعة الثانية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1982.

المراجع مترجمة من اللغة العربية إلى الإنجليزية:

John M.Koller, (1990).Oriental Philosophies Kwait National Council for Culture Arts and literature, Kuwait.

De Kulang, F., (2007).The ancient city - A study of the worship of the Greeks and Romans, their law and their systems, translated by Abbas Bayoumi. The first edition, the National Center for Translation, Cairo,

Fere L,(2002). The Deified Man or the Meaning of Life, translated by Mohamed Hesham, Casablanca.

Nikos Kazantzakis, (1967).The Enemy Brothers, translated by Ismail Al Mahdawi, The Egyptian Study for Printing and Publishing, Cairo.

Nikos Kazantzakis, (1991). A Journey to Egypt - Wadi and Sinai, translated by Muhammad Al-Zahir and Minya Samara, First Edition, Cairo , Al-Amal for publication.

Nikos Kazantzakis, (1995).The Last Seduction of Christ, translated by Usama Menzaky, second edition, Daar Al-Mada for Culture and Publishing,.

Nikos Kazantzakis, (2004).A Report to Greco - An Intellectual Biography, translated by Mamdouh Adwan, Second Edition, Damascus: Dar Al-Jundi For publication and distribution

Kazantzakis, Zorba, (1978). Translated by George Tarabishi, 3rd edition: Dar Al-Adab Publications

Campbell, J., (1999). The Power of the Legend, translated by Hasan Saqr and Maysa Saqr, First Edition, Damascus Dar Kalima publishing and distribution.

Nikos Kazantzakis, (1998)."Sufism" (Savior of the Gods), translated by Syed Ahmad

Ali Bilal, Al Mada publications

Nikos Kazantzakis, (1993) .The Snake and the Lily, translated by Sahia Najm, First Editon, Beirut Literary Treasures House,

Lucretius, (2018). On the Nature of Things, translated by Ali Abd Al-Tawab Ali, Salah Ramadan Al-Sayed and Said Ahmed Sadig, First Edition, Cairo: National Center for Translation.

Adel Mostafa, (2017).Illusions of Reason, Reading in the New Organon by Francis Bacon, The Hindawi Foundation, Windsor, UK.

Mustghanmi, (1993). Memory of the Flesh, Dar Al Adab for Publishing. Beirut.

Nietzsche, (1982).Philosophy in the Greek Tragic Age, translated by Suhail al-Qash, second edition, Beirut: University Foundation for Studies, Publishing and Distribution.

المراجع باللغة الإنجليزية والفرنسية:

Bien, Peter, (1972).Nikos Kazantzakis, New Yourk, Cloumbia University Press.

PreValakis, Pandelis, (1961). Nikos Kazantzakic and his Odyssey, A study of the Poet and the Poem, Trans. Philop Sherrard, New Yourk: Simon and Schustcer.

Dombrowski, Deniel A. (1997). Kazantzakis and God-Albany, State University of New York press.

Gill, Jerry H; Kazantzakis Philosophical and Teeol ogical Thought.

Bergson, H; (1932). Les Deux sources de la Moral et de la Religion, Onzième édition, Paris:Librairie Félix Alcan,.

Nietzsche F,(1958). Ainsi parlait Zarathoustra, traduit Henri Albert, Paris:édition Club Géant,.

Nietzsche F. (SD), le livre du philosophe – études théorétiques, traduit Angèle Kremer-Maritti, Alger: édition Sigma.

Verry, L; (1990). Homo Aestheticus – l'invention du gout à l'Age démocratique, Paris: édition Grasset et Fasquelle,.